مجلة مجتمع تربية عمل

ISSN: 2507-749X EISSN: 2602-7755

https://www.asjp.cerist.dz/revues/414

المجلد:06/ العدد02(2021) ص ص 160./172.

سوء المعاملة الوالدية النفسية:

تداعياتها، وطرق التدخل الوقائي والعلاجي لها

Parental Psychological Abuse: Determinants, Implications and Methods of Preventive and Therapeutic Intervention

معنصر مسعودة*	الهامل منصور
جامعة وهران 02 (الجزائر)	جامعة وهران 02 (الجزائر)
manser.messaouda@univ-oran2.dz	mhamel2003@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:2021/05/04

تاريخ القبول:2021/10/06

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الكلمات المفتاحية:الإساءة النفسية الوالدية
- ✓ الكلمات المفتاحية:الطفل
- ✓ الكلمات المفتاحية: العوامل المحددة

الملخص:

إن الخبرات الأولى في حياة الطفل تترك أثرا كبيرا على أغلب مظاهر نموه الاجتماعي والانفعالي وحتى الجسدي، فخصوصية هذه المرحلة تجعل منه يتأثر بكل ما يمر به سواءا سلبا أو إيجابيا، ومن بين الأسباب التي يكون لها وقعا كبيرا على الصحة النفسية للطفل هي الإساءة النفسية، يتعرض لها الطفل لها عوامل متعددة محددة و مهيئة لحدوثها، وتكون تداعياتها على النفس أعمق وتمتد آثارها إلى مراحل متقدمة في حياة الإنسان .،فشتم الطفل بصفات مؤذية وتحقيره أمام أقرانه وإهماله بأبسط حقوقه وإشعاره أنه مرفوض يكون له بالغ التأثير العميق في شخصيته وتختلف درجة تأثير الإساءة حسب طبيعة الشخص مصدر الإساءة فإذا كان أحد الوالدين أو كليهما، يكون تأثيرها أكبر من أي شخص آخر، كون يفترض فيه ما أن يكونا مصدر حماية وحنان ورعاية وليس مصدر تهديد وخوف.

Article info

Received :04/05/2021

Accepted :06/10/*2021*

Keywords:

- ✓ Psychological abuse of parents
- ✓ The child
- ✓ factors Determining

Abstract :

The first experiences in a child's life leave a significant impact on most aspects of his social, emotional and even physical development. The peculiarity of this stage makes him vulnerable to everything he experiences, whether negatively or positively. One of the reasons that have a great impact on the child's mental health is psychological abuse. The latter's occurrence is predisposed by multiple factors; its repercussions on the child runs deep and its effects extend to his advanced stages. The extent of this impact varies depending on the source of abuse. If it is one or both of the parents, the impact of this abuse will be greater since they (the parents) are supposed to be a source of protection, tenderness and care, not a source of threat and fear.

* معنصر مسعودة

❖ **مقدمة:** إن المعاملة الوالدية التي تمارس ضمن جهاز الأسرة تبدأ تظهر معالمها منذ ميلاد الجنين إلى غاية استقلاليته عن الأبوين، غير أن آثارها تبقى مستمرة في شخصية الطفل فالمراهق فالراشد، ومن خلال المعاملة الوالدية تشبع حاجات الأبناء البيولوجية والنفسية من رعاية وحب وأمان ، فالأساليب السوية للمعاملة الوالدية تنعكس آثارها على سلوك الطفل بصورة إيجابية، أما إذا تعددت الأساليب غير السوية مثل الحرمان وزادت شدتها، فإن شخصية الطفل تتأثر سلبا ويبقى الأثر قائما ليس في الطفولة فحسب بل في مراحل نموه اللاحقة. وتعد ظاهرة إساءة المعاملة الوالدية النفسية مشكلة عالمية فهي تحدث في المجتمعات كافة وفي مختلف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية بغض النظر عن الدين والثقافة واللغة ، وتقدر منظمة الصحة العالمية سنة 2006 ،أن 40 مليون طفل أعمارهم أقل من 15 سنة في العالم يعانون من سوء المعاملة الوالدية ويحتاجون إلى رعاية صحية واجتماعية ،كما يؤكد ذلك دراسات عديدة مثلا لإستقصاء الذي أجري في و.م.أ عام 2000 والذي بين أن هناك 18 حالة يتم التبليغ عنها من بين 100 طفل، من هذه الحالات 13 % تعرضت لإساءة نفسية، كما أشارت بعض الإحصائيات إلى أن حوالي مليون طفل يعانون من الإساءة النفسية عالميا، أما في بريطانيا فقد كان هناك6000 حالة عنف لفظي عام 1993 (أورد في: روزنبرغ، 2008).

ويشير الأدب التربوي إلى وجود أشكال متعددة للإساءة الوالدية؛ كالإساءة الجسدية والإساءة الجنسية والإساءة بالإهمال، غير أن أخطرها الإساءة النفسية، التي تكون أثارها على النفس أعمق ،وهي تشير إلى قصور راعي الطفل في توفير بيئة نمائية تشجيعية سليمة، يتوافر فيها وجود راع أساسي يرتبط به الطفل ارتباطاً عاطفياً لضمان نمو نفسي مستقر له ضمن علاقة مسئولة أو ثقة أو سلطة، ويسمح له بتطور نموه الاجتماعي والعاطفي الذي يتفق مع قدراته الشخصية ومحيط البيئة التي يعيش فيها، ويؤدي هذا القصور إلى أذى في تطور الطفل الصحي، والجسدي، والعقلي، والعاطفي، والأخلاقي والاجتماعي (أورد في: Zegler, 2005).وتتضمن الإساءة النفسية تقييد حرية الطفل، والتقليل من قيمته والإساءة لسمعته، وتحميله مسؤوليات ينوء بحملها وتخويفه وممارسة التمييز عليه، أو أي شكل من أشكال التعامل السيئ الذي يقوم على الكره والرفض ،وتعد الإساءة النفسية من الإساءات الخطيرة التي يتعرض لها الطفل بسبب آثارها المباشرة على شخصيته وبسبب صعوبة تحديدها والكشف عنها، وصعوبة معرفة أسبابها نتيجة ارتباطها بأنماط أخرى من الإساءة كالإساءة الجسدية أو الجنسية أو الإهمال (أورد في:سواقد، الطراونة،2003).

كما أكدت العديد من الدراسات العربية على انتشار الظاهرة وبين بأن لسوء المعاملة النفسية عواقب وخيمة تستمر مع حياة الفرد، وتظهر تلك العواقب سواء في الطفولة أو في المراهقة والرشد وذلك بعواقب جسدية ونفسية وسلوكية وانفعالية وذكائية كالقلق والاكتئاب والانحراف وإدمان المخدرات والكحول والاضطرابات السيكوسوماتية والأفكار السوداوية بمحاولات الإنتحار..إلخ ، فشتم الطفل بصفات مؤذية وتحقيره أمام

أقرانه وإهماله بأبسط حقوقه وإشعاره أنه مرفوض يكون له بالغ التأثير في شخصيته ، إن تهديد القواعد الأساسية لإحساس الطفل بالأمان والحب تثير صيرورة من الاستجابات الانفعالية المرضية من قلق واكتئاب وتجنب العلاقات الاجتماعية، حيث بينت دراسة "مارتنوجريينوكونس1999" التي هدفت إلى حصر أخطر الآثار السلبية لإساءة المعاملة الوالدية النفسية فوجدوا أهمها صعوبات في التعلم، تأخر في اللغة، اضطرابات وظيفية إدراكية، العدوانية والسلوك الإنحرافي والإجرامي كالسرقة والإدمان والخوف والقلق، عدم الثقة، العجز وضعف في تقدير الذات ونقص الاستمتاع بالحياة والتفكير بالانتحار واضطرابات نفسية جسدية، فعملية تكوين الشخصية تتم عبر مراحل حياة الفرد المتتالية ويتضح عند سن البلوغ والرشد مدى نجاح عمليات النمو السابقة حيث يصبح الفرد قادرا على القيام بدور البالغين وعلى التعامل مع متطلبات الحياة (أورد في:ابو رياش،2006).

ويؤكد علماء النفس على أن المعاملة السيئة تشعر الفرد بفقدان الأمن، وتزرع في نفسه بذور التناقض الوجداني وتنمي فيه مشاعر النقص والعجز في مواجهة مصاعب الحياة وتعوده على كبت انفعالات هو توجيه اللوم إلى نفسه، وعندما يكبر توقظا لصراعات القديمة لديه فتظهر على شكل اضطرابات عصابية، حيث بينت الدراسة التي قام بها"ألنوبن2002 "أعراض الإكتئاب وعلاقته بأسلوب الإساءة النفسية عند الأطفال المضطربين، فوجد أن الأطفال الذين استخدم الوالدان معهم أساليب الإساءة النفسية كان لديهم مستوى مرتفع من الاكتئاب ومستوى منخفض من تقدير الذات (أورد في :روزنبرغ، 2008).

كما توصلت دراسة تغليت صلاح الدين وآخرون 2010 بعنوان "أساليب الإساءة في الوسط الأسري الجزائري كما يدركها التلاميذ وأثرها في إحداث صدمة تربوية لديهم"، حيث تمت الدراسة على 100 تلميذ ذكور وإناث بطريقة عشوائية بين ضحايا الإساءة في الوسط الأسري في الطور الابتدائي بمدينة سطيف سنة 2008 ، 2009 وتم تطبيق مقياس يتكون من محورين الأول أساليب الإساءة التي يتلقاها التلميذ الإساءة البدنية والإساءة النفسية والإهمال ، والمحور الثاني مؤشرات الصدمة التربوية لهذه الإساءة ويضم السلوك التجنبي الإنعزالي والخوف من المدرسة وتوصلت نتائج الدراسة إلى مايلي:الأسلوب السائد هو الإهمال في المرتبة الأولى يليه الإساءة البدنية وبعدها لإساءة النفسية، حيث تعرض أفراد العينة إلى إساءة معاملة نفسية والدية التي أدت إلى حدوث صدمة نفسية من أهم مظاهره االسلوك التجنبي والخوف من المدرسة. واتضح أيضا أن الخوف من المدرسة هو من أهم هذين المظهرين من الصدمة ثم يليه السلوك التجنبي (أورد في:غزالي، 2012).

ولاشك أن هناك العديد من المتغيرات الأسرية التي تسهم في حدوث سوء معاملة الأطفال مثل التفاعلات السلبية بين الوالدين والأطفال، ونقص العلاقات الأسرية مثل ضعف التماسك الأسري إلى جانب البطالة والفقر والخلافات الزوجية و العنف الأسري ونقص المساندة الاجتماعية، فالطفل ينبغي أن يولد ليكون

محبوبا و مرغوبا فيه من الأسرة بالإعتناء به وحمايته حيث تنمي مالديه من إمكانات وقدرات ليصبح عضوا ناجحا في المجتمع (أورد في:ميزاب، 2005).

وعليه يمكن القول أن الفرد الذي يحمل تراكمات من خبرات سوء المعاملة الوالدية النفسية في الطفولة، يواجه مصاعب ومواقف جديدة نسبيا عليه في هذه الفترة، فهو يتعرض لتغيرات نمائية نفسية واجتماعية وفسيولوجية أثناء مرحلة المراهقة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للتركيز على الأثر الممكن أن تحدثه الإساءة الوالدية النفسية لدى الطفل ومن هنا نطرح التساؤل التالي:ماهي الآثار النفسية التي تظهر على الأبناء الذين كان واضحية سوء المعاملة الوالدية النفسية : وماهي محدداتها ،وطرق التدخل الوقائي والعلاجي لها ؟

- **الإساءة الوالدية النفسية كأسلوب معاملة غير سوى:**إن أساليب المعاملة الوالدية غير السوية هي ممارسة الوالدان للاتجاهات الغير مرغوب فيها تربويا والتي تسبب آثار سلبية على نفسية الطفل حيث أطلق عليها عدة تسميات منها معاملة والدية سلبية أو معاملة والدية غير صحيحة، والتي تعني الطرق التي يتبعها الوالدان في تنشئة الطفل تنشئة تحقق أكبر قدر من عدم التوافق في كل مرحلة من مراحل النمو في ضوء مطالب كل مرحلة بحيث يؤدي ذلك إلى انحرافات في النمو النفسي والانفعالي والاجتماعي والتي يحتمل أن ينتج عنها اضطراب في الشخصية.(أورد في:الرشدان،2005).

ويشير كفافي (2006) إلى إن أطفال الأسر المحبة يكونون أكثر شعورا بالأمن النفسي حيث تعلقوا تعلقا آمنا بالوالدين خلال العامين الأوليين ، كما يكون لديهم أكبر قدر من تقدير الذات ويكونوا أكثر تعاطفا، وأكثر استجابة لآلام الآخرين وأحزانهم، بل يتحصلوا على نسب ذكاء أعلى من مراحل ما قبل المدرسة، والمرحلة المدرسية الابتدائية وذلك إذا ما قورنوا بأطفال الأسر غير المحبة، وكان سلوك الأطفال الأسر المحبة ذو احتمال ضعيف في أن يظهروا سلوكا جانحا في المراهقة، بالرغم من أنهم ينشئون في الأحياء الفقيرة والعشوائية ولكنهم لم ينحرفوا أو يجنحوا وهذا راجع إلى أنهم حظوا بحب غير مشروط وثابت من جانب الأم (أورد في: كفافي،2006). ويؤكد"أحمد هاشمي2004" في دراسة علاقة الأنماط السلوكية للطفل بالأنماط التربوية الأسرية التي أجراها سنة 2004 دراسة ميدانية بمجموعة من ولايات الغرب الجزائري، وعلى عينة تكونت من 370 طفلا (163 إناث و207 ذكور) أخذت من 9 متوسطات تراوحت أعمارهم بين 11 و18 سنة حيث استخدم استمارة تتضمن محورين: المحور الأول حول الأنماط التربوية الأسرية و المحور الثاني حول الأنماط السلوكية للطفل وتوصل إلى أن النمط السليم (المرن) الذي يرتكز على أساليب المودة والتفهم والاحترام والحوار والثقة والتشجيع والتحفيز والتنبيه والرفق والعطف، يساعد الطفل حاضرا ومستقبلا على التكيف النفسي والأسري والاجتماعي ويجعله متزنا وقادرا على مواجهة الصعاب ويشعر كذلك بالقوة أمام الآخرين وأمام العوائق التي تعترضه سواء في دراسته أو مع أساتذته أو مع أقرانه أو في علاقته مع أسرته (أورد في:غزالي، 2012).

إن تعرض الطفل للإساءة النفسية ينتج عنه عقد ومكبوتات وصدمات، بسبب فقدان الطفل للرعاية اللازمة وبسبب استخدام أسلوب القسوة والنبذ في التعامل معه، الذي ينتج عنه ظهور العديد من الأثار النفسية في المستقبل لما يصبح فردا راشدا.

❖**مفهوم سوء المعاملة الوالدية النفسية:**لقد تناول الباحثون الإساءة النفسية تحت مسميات عدة منها الإساءة اللفظية أو الإساءة المعنوية أو القسوة الانفعالية، وقد تستخدم الإساءة النفسية كمرادف للوالدية السيئة" وذلك في مقابل الوالدية الجيدة والتي تتضمن حسب "روتر1980" التقبل و الدفء الوالدي والذي من خلاله يكون الآباء قادرين على إظهار الحب والتقبل للطفل،أما المكون الثاني فهو التعلق وهو عبارة عن رابطة قوية تتشكل بين الآباء والطفل، ويشير "روتر1980" إلى أن هذه الرابطة لا ترتبط بطول الفترة الزمنية التي يقضيها الآباء مع الطفل وإنما بنوع وجودة الاهتمام والرعاية التي تعطى له (أورد في:زغنية،1997)، وحسب" Hard et Brassard 1987"فإن الإساءة النفسية ترتبط بوجود "رفض ،ترويع ،حبس ولامبالاة للمطالب النفسية للطفل".

ويشير"Oates 2000 " إلى أن الإساءة الانفعالية تعرف من خلال العواقب التي تتركها على الطفل أكثر من السلوك المرتكب، حيث تتمثل في اعتداء الوالدين على إحساس الطفل بذاته وعلى تقديره لنفسه فهي تعرض رفاهيته الانفعالية والعقلية للخطر (أورد في: Zegler, 2005).

ويعرفها "أبو رياش 2006" بأنها الفشل في إمداد الطفل بالعاطفة والمساندة الضرورية لنموه الانفعالي والنفسي والاجتماعي، لذا تسمى أيضا بالإساءة العاطفية ، فهي السلوكات التي تهاجم النمو العاطفي للطفل وصحته النفسية وإحساسه بقيمته الذاتية والتي تشمل الشتم، والترهيب والعزل، والإذلال والرفض، السخرية، النقد اللاذع والحرمان من الحب والحنان والرعاية (أورد في:ابو رياش،2006).

وقد عرف "حسين فايد 2005"الإساءة النفسية بأنها استخدام الوالدين لتهديدات لفظية متزايدة وسخرية وتعليقات مهينة شخصيا وعبارات ازدرائية تؤدي إلى فقدان الرفاهية الانفعالية والعقلية للطفل وقد تعرضه للخطر (أورد في:فايد،2005). في حين ذهب "مختار صفوت" في تعريف الإساءة النفسية وهي عدم إشباع الحاجات النفسية للطفل من والديه سواء كان ذلك بإرادتهما أو بدنوهما، فالإساءة النفسية تتحقق بمجرد حرمان الطفل من الحصول على القدر الكافي من الحب والحنان والرعاية، أو بمجرد فقدانه الإحساس بالطمأنينة داخل الأسرة (أورد في:عبد الله، خليفة،2001).

لقد تميز تعريف الإساءة النفسية بصعوبة وخلط على الرغم من أن هذا الشكل من الإساءة هو الأكثر انتشارا بدون أن نحتسب كل أشكال الإساءة الأخرى التي تكون مصحوبة بالإساءة النفسية.

ومن خلال ما تقدم من تعريفات مختلفة نستنتج بأن سوء المعاملة الوالدية النفسية هي كل الأفعال سواء (المعزولة أو المتكررة)التي يقوم بها الوالدان و التي تهدد نمو واستقرار الطفل و المتميزة بالعدائية

واللامبالاة و الرفض ،ويمكن أن نحددها في :رفض الطفل و تركه بمفرده ، إهانات وانتقادات و لوم مستمر ،احتقار، استهزاء وتظهر بشكل لفظي، وعزلهبرفض تواصله مع زملائه من نفس سنه ، الترهيب من خلال تخويفه وتهديده،إجباره على القيام بدور الراشد.

❖ **أنماط سوء المعاملة الوالدية النفسية وأثارها على الطفل:**الإساءة النفسية هي كل الطرق والأساليب السلبية الغير البدنية والمستعملة من طرف الوالدين وبالتالي فهي تتخذ أشكال عديدة منها:

✓ **الإساءة اللفظية:** يعتمد الآباء على توجيه كلمات التأنيب المباشرة بنقد شخصية الطفل وذلك بإطلاق أسماء عليهم عن طريق النقد الشديد لسلوكاتهم وإطلاق ألقاب جارحة مثل: الغبي، الفاشل، الأحمق، وتلقيبهم بأسماء الحيوانات كالحمار، كلب، فكثير من الأباء والأمهات يزعجهم خطأ إبنهم، فيسرعون بتوبيخه توبيخا جارحا فمنهم من يقول لابنه حين يخطئ دون قصد "كيف تفعل هذا يا حمار؟" وغير ذلك من العبارات التي قد تزيد من حدتها ، وقد يخطئ الطفل من غير قصد فحين يقال له يا مجرم فقد استقر في ذهنه أن أهله يظنون أنه مجرم حقيقي ومع تكرار هذه الشتائم قد يثبت معناها في ذهنه معتقدا بحقيقة انطباقها عليه، إن تقليل الطفل من شأنه أن يؤدي إلى الشعور بالذنب وتأنيب الضمير حتى على الأخطاء التي ليس له يد فيها، كذلك تتمثل صور الإساءة اللفظية في تهديد الطفل بعقوبات شديدة أوغير مفهومة تثير الفزع لديه خاصة إذا ما ترك الطفل ينتظر العقاب ولا يعلم متى وماذا سيحل به (أورد في:كفافي،2006).

✓ **التفرقة بين الأبناء** :يكثر هذا الأسلوب من المعاملة في الأسر التي تنجب أكثر من طفلين والتفرقة تعني تفضيل الآباء لأحد الأطفال عن باقي إخوت، فينصب اهتمامهم ورعايتهم على هذا الطفل أكثر من إخوته، ويرجع هذا التعمد فيعدم المساواة بين الأبناء والتفضيل بينهم بسبب الجنس أو اللون أو الترتيب، ذكور عن الإناث أو الصغار عن الكبار، وهذا التمييز يولد مشاعر الغيرة والحقد والانتقام في نفوس الإخوة، لذا تجدهم يتصرفون تصرفات عنيفة تعبرعن حقدهم برفضهم لأسلوب الوالدين فيسلكون سلوكا عدوانيا اتجاه الطفل المفضل، وأسلوب التفرقة هو إدراك الطفل من خلال معاملة والديه له، أنهما لا يساويان بين الأخوة في المعاملة وانهما قد يتحيزان لأحدهم على حساب الآخرين، فقد يتحيزان للأكبر أو الأصغر أو للمتفوقين دراسيا (أورد في:كفافي،2006)، ويترتب على أسلوب هذه المعاملة شخصيات أنانية حاقدة ، تستحوذ على كل شيء لها، أو على أفضل الأشياء ولو على حساب الآخرين، شخصيات تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها(أورد في:مختار،1998).

✓ **الحماية الزائدة**:وتتمثل في الإسراف في تدليل الطفل والإذعان لمطالبه مهما كانت شاذة أو غريبة وتلبية مطالبه أينما وكيفما ومتى شاء دون مراعاة الظروف الواقعية أو عدم توفر الإمكانيات، وغالبا ما يكون هذا الأسلوب نتيجة لوجود الطفل الذكر مع إخوته البنات أو ميلاده بعد وقت طويل، وتتمثل كذلك في حماية الطفل حتى من أخطائه، المبالغة في رعاية وحماية الطفل خاصة إذا كان وحيدا، خوف دائم من الوالدين من مرض طفلهما أو إصابته بعاهة وتوقع تعرضه للأخطار من أي نشاط، مما لا يسمح للطفل القيام بواجباته أو التمتع بحقوقه وحرمانه من الفرص التي تساعده على التعلم واكتساب خبرات مختلفة، وبالتالي ينتج عنه شخصا يخشى اقتحام المواقف الجديدة (أورد في:كفافي،2006).كذلك تتمثل الحماية الزائدة في حماية الطفل والتدخل في كل شؤونه لدرجة إنجاز الواجبات والمسؤوليات التي يستطيع القيام بها فلا يتاح للطفل فرصة اتخاذ قراره بنفسه. ويقصد بها أيضا حرص الوالدين على حماية الطفل من أي خطر متوقع، والقيام نيابة عنه بالأعمال والواجبات التي يمكن أن يقوم بها، والتي يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن يكون ذا شخصية مستقلة فالأبوان اللذان يتخذان اتجاه الحماية الزائدة كأسلوب تربوي يكون ذلك معارضا لرغبة الطفل في التحرر والاستقلال، فإن ذلك يجمع كلا من الحماية الزائدة والتسلط معا (أورد في:عبد الله، خليفة،2001). وأصل سلوك الحماية الزائدة هو رغبة الوالدين في حماية ابنهما، حيث تأتي على شكل التعلق الشديد بالطفل الذي يعني الإفراط في الارتباط بالطفل حيث يرغب الوالدان في الاتصال المستمر بطفلهما، فيحرصان عليه بصفة مفرطة، إلى حد اعتباره كصبي (أورد في: محمود،1981).

✓ **أسباب الحماية الزائدة لدى الوالدين:** يؤدي أسلوب الحماية الزائدة في المعاملة إلى نمو شخصية ضعيفة خائفة، غير مستقلة، تعتمد على الغير في قيادتها وتوجيهها، وغالبا ما يسهل استثارتها نتيجة ضعفها وعدم تحملها المسؤولية وسرعان ما تصطدم بالواقع ، وتتسم أيضا بانخفاض مستوى قوة الأنا، وانخفاض الطموح و الإحباط وفقدان التحكم الإنفعالي، ورفض المسؤولية والخوف من تحملها، هذا بالإضافة إلى عدم الثقة في قراراتها و تأثرها بالجماعة التي تنتمي إليها فتعتمد على الآخرين وغالبا ما تكون لهذه الشخصية حساسية بشكل مفرط للنقد (أورد في:عبد الله، خليفة،2001).

إن تعطل الأم عن إنجاب الأطفال لسبب أو لأخر يجعلها متلهفة على إنجابهم، فإذا ما أنجبت بعد فترة من الزمن حرمت فيها من الولد فإنها تحيط هذا الطفل بضروب من الرعاية والرقابة الزائدة، ومثل هذا أيضا يقال عن الأب، فهو إذا ما أنجب بعد طول يأس من إنجاب كان منه مثل هذا السلوك، وذلك بسبب شدة ألم الأم في عملية الوضع يجعلها تزيد من رعايتها لهذا الوليد فتحيطه بسياج قوي من الحماية، مرض الطفل الطويل زمنيا في الطفولة المبكرة يستدعي العطف عليه أكثر من اللازم فالوالدان يشعران بأنه عاجز يختلف عن أخواته، ومن ثم فإنه في حاجة أكثر للرعاية، الطفل الوحيد، الطفل الأول والسبب أن الوالدين تنقصهما الخبرة بتربية الأطفال فنجدهما يبالغان في رعايته، أما في حالة الطفل الثاني، فلا

نجد نفس المعاملة لأن تربية الطفل الأول أكسبتهم خبرة، لذلك يربون الطفل الثاني والثالث دون قلق، ويلاحظ كذلك أن تربية الطفل الأخير تختلف عن تربية الأطفال الآخرين، فمن الملاحظ أن الطفل الأخير موضوع رعاية، لأن الوالدين في ذلك الوقت يشعران بأن قدرتهما على الإنجاب قد انتهت ، فهما لذلك يبالغان في رعايته،ورغبة الوالدين الشديدة في إنجاب طفل من جنس معين ولدا مثلا فإذا أنجبا الوالدان هذا الطفل كان محل رعايتهما الزائدة (أورد في: محمود،1981).

✓ **النبذ والرفض:** كثير من الأباء والأمهات يشعرون أبنائهم بأنهم غير مرغوب فيهم مما يؤثر سلبيا على النمو النفسي لديهم، فالطفل بدلا من حصوله على العطف والرعاية يشعر أنه مرفوض من الأسرة ، ويتمثل الرفض في تجنب معاملة الطفل أو الحديث معه لفترة طويلة على أخطاء بسيطة تشعره بأنه غير محبوب من أحد الوالدين أو من كليهما، ويكون الرفض إما في صورة عدوان على الطفل وعداء اتجاهه أو في صورة عدم المبالاة بالطفل وإهماله وتجاهله، فعندما يرفض أحد الأبوين الطفل فإن ذلك يشوه صورته الذاتية ويشعره بعدم قيمته، والأطفال الذين يشعرون برفض ذويهم لهم من البداية يتعمدون إلى تنمية أنماط سلوكية مضطربة ، كما أن فرصتهم في أن يصبحوا طبيعيين عندما يكبرون ضئيلة ، وهنا يدرك الابن معاملة والديه وتضايقهم منه وعدم تقديرهم لمشاعره ويشعر أنه مرفوض وغير مرغوب فيه ومحروم من الدفء والحنان العائلي، فقد يكون الرفض الوالدي للابن رفضا صريحا أو ضمنيا،مع تركه دون الإثابة على السلوك المرغوب أو لوم وتوجيه أو المحاسبة على السلوك الغير المرغوب فيه، وكذا عدم المبالاة بإشباع حاجاته، أو عدم الاهتمام بوجوده وكيانه الشخصي والاجتماعي بشكل يهدد مشاعر الأمن النفسي وتقدير الذات عنده (أورد في:فايد،2005).

إن ما يميز الطفل المرفوض عن غيره أنه يبدي سلوكا عدوانيا ويكون مشاكسا متمردا ويظهر ميلا خاصا إلى السلوك الإجرامي والكذب ، ليعبر به عن مشاعر الهوان العميقة بأشكال مختلفة، كالمخاوف والميل إلى العزلة، كما يؤدي القلق عنده إلى إصدار سلوكات غير معقولة، إن المعاملة الوالدية التي تعتمد على النبذ والرافضة للطفل والمنقصة من قيمته، يترتب عنها شعوره بالضيق والتبرم والإحساس بالعجز وفقدان توكيده لذاته وعدم الرضا عنها، وهذه المشاعر المؤلمة التي يعيشها تعيق مسيرته نحو تعزيز ثقته بنفسه وبناء هوية إيجابية قائمة على الوعي والمعرفة وتحمل المسؤولية، ومن علامات رفض الأولياء للطفل نجد:-استعمال العقاب البدني القاسي- نقد الطفل نقدا مستمرا وكشف عيوبه أمام الغير – الإسراف في إهماله واتهامه- التقليل من شأنه بالقياس مع أطفال الجيران – ألا يذكر بخير أبدا – إبداء الدهشة إذا امتدحه الأخرون (أورد في:العيسوي،2000).

✓ **الإكراه** : يعني الإكراه إرغام الطفل وإجباره على فعل الأشياء والتخلي عن بعض السلوكات بالقوة، حتى وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى العنف أو العقاب البدني، والإكراه يتمثل في فرض النظام على الابن بالقوة والقسوة المفرطة وعدم الاستماع إلى آراءه، والغضب الشديد عند مخالفته لتوجيهاتهم، مع اعتقادهم

الجازم أن العقاب البدني وسيلة تربوية لا غنى عنها بالإضافة إلى النصح والتوجيه والإرشاد، إن الإكراه أسلوب من أساليب المعاملة الوالدية السالبة ينمي في النفس الشعور بالدونية، و نقص الشعور بالأمن النفسي كحاجة أساسية من حاجات النمو النفسي (أورد في:أبو النيل،1985).

✓ **التساهل الشديد** : يعبر أسلوب التساهل عن الأساليب التربوية التي تعمل على تشجيع الطفل ليحقق رغباته بالشكل الذي يحلو له والاستجابة المستمرة لمطالبه، وعدم الحزم في تطبيق منظومة الثواب والعقاب، يتميز هذا النمط بالدفء دون صرامة أو ضبط، وبوجود عدد قليل من القواعد السلوكية وندرة العقاب وعدم الثقة في مهارات الطفل أو عدم الثبات في المعاملة، وقد يؤدي إلى اللامبالاة والتسيب، وإلى تكوين لدى الطفل نوع من الشعور بأن والديه لا يشجعانه على اكتشاف شخصيته وقدراته (أورد في:ابو رياش،2006).

❖ **نمـــاذج التـــدخـــل**: وفيما يلي طرح لبعض نماذج التدخل:

✓ نموذج Straus وزملائه 1981:في سنة (1981) في كتاب" خلف الأبواب المغلقة Bhind " doors"closed قدم"straus و Gelles و steinnetz "مقارنة من خمس مراحل بهدف تخفيض العنف في العائلة :

أ)المرحلة الأولى: حذف المعايير التي تعزز وتمجد العنف في المجتمع والأسرة منذ زمن بعيد، والمجتمع مستمر في اعتقاده بأن ضرب الطفل ضروري ومفيد لنموه وبقي المجتمع متمسك بما يتوهمه بأن العنف الجسدي هو وسيلة فعالة في العقاب واستمر في قبول مستوى من العنف المرتفع في الأسرة والمجتمع .

ب) المرحلة الثانية :خفض الضغط المولد للعنف الفقر والبطالة على سبيل المثال يمكن أن يؤدي إلى آثار خطيرة على الفرد(انخفاض تقدير الذات، استسلام... الخ)، العنف يشبه منفذ أو مخرج وحيد لتفريغ خيبة الأمل والإحباط وحسب"Straus "أن تحسين الظروف الاجتماعية وتوفير مستوى من العيش الملائم أمر ضروري لخفض العنف الأسري ولكنه ليس كاف (أورد في:Bouregba, 2004).

ج)المرحلة الثالثة: دمج الأسر في شبكة اجتماعية فالأشخاص الذين ليس لديهم أقارب أو أصدقاء يجدونهم في الظروف الصعبة يكونون أكثر ميلا للإساءة والعنف ضد أفراد أسرتهم وهنا تكمن أهمية توفر شبكة من الدعم الاجتماعي.

د)المرحلة الرابعة: تغيير الخاصية الجنسية للمجتمع والأسرة حيث يجب تغيير عدم التساوي في الأسر بين أفرادها على أساس الجنس .

ه) المرحلة الخامسة: تحطيم دائرة العنف في الأسرة لتحطيم سلسلة العنف التي تنتقل جيلا عبر جيل حيث يجب تعديل المعارف والمعلومات التربوية للآباء.

✓ نموذج "Pecora" 1992":قام Pecora بتطويرنموذج abc عند معالجة احتياجات الخدمة الفورية المباشرة للأسرة ويركز هذا النموذج على ثلاثة عناصر :

a– الظروف أو الأحداث السابقة والحالية التي تمر بها الأسرة.

b–ردود الفعل المصاحبة لهذه الأحداث وما تؤدي إليه من سلوكات.

c– ما ينتج من هذه السلوكات من عواقب إيذائية على الطفل،حيث يتم الإهتمام بالنقاط التالية من خلال وضع تقييم للأسرة ككل :

أ)التاريخ التطوري:وهذابتدرج فمن الصنف الأول A ، ويهتم بمعرفة تاريخ الوالدين من الطفولة إلى الزواج وحتى عند إنجاب الأولاد .

ب)ظروف المعيشة: نقصد بها المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وظروف السكن وغيرها من المعايير الأخرى من مثل(عدد الغرف، دخل الأسرة).

ج)الشخصية: شخصية الأم والأب وتعاملهما مع أطفالهم .

د)العلاقة الزوجية: وتشير إلى طبيعة العلاقة بين الزوجين إذا ما كانت متوترة وماهي النقاط التي تتسبب في التوتر.

ص)العلاقات الاجتماعية: ونشير إلى شبكة العلاقات الاجتماعية من أصدقاء وأقارب ومدى التفاعل الذي يحدث بين هذه الأسرة والأسر الأخرى .

ن)صفات الطفل : وتشير إلى خصائص الطفل من حيث السن ، الجنس ومزاج الطفل وطبعه.

هـ) أسلوب التنشئة:ويهتم بالسلوكات الايجابية والسلبية التي يمارسها الوالدان في تنشئة الطفل وهذه السلوكات يشار إليها بحرف "B" .

و)النتائج المباشرة على الطفل: ماهي نتائج أساليب المعاملة التي يعتمد عليها الوالدان من ضرب وإساءة انفعالية وإهمال و التي يرمز لها بالحرف " C" .

ي)تطور الطفل: ويقصد بها النتائج طويلة المدى التي قد تظهر على الطفل ضحية الإساءة الوالدية.(أورد في:Cirillo,1992) .

لا شك أن الإساءة للطفل تنشأ من تراكم التفاعلات السلبية القهرية بين الوالدين والطفل، وأن الآباء المسيئين غالبا ما يكون لديهم مفاهيم سلبية عن أطفالهم، ولديهم اعتقاداتهم الخاطئة أيضا، والتي تتركز في أن العقاب البدني هو الأسلوب الفعال في تأديب الأطفال، ولديهم تحريفات معرفية، ترتبط بالاعتداءات الجنسية على الطفل وهنا تأتي أهمية التدخلات العلاجية التي تركز على الآباء المسيئين

لأطفالهم، وذلك بهدف تعديل أنماط تفكيرهم و إدراكاتهم السلبية نحو أطفالهم، وتغيير أنماط التفاعل السلبي مع أطفالهم ، وتركز هذه التدخلات على مهارات إدارة الغضب وإدارة الضغوط، وتستخدم معظم هذه التدخلات المدخل السلوكي في تدريب الوالدين، وتعليمهم كيفية التعامل مع الطفل وتنشئته بطريقة ايجابية وغير عنيفة، مثل البرامج التي تتضمن تعليم المهارات الوالدية، وتأثير أساليب التعزيز والعقاب في سلوك الطفل، والتدريب على كيفية تعزيز السلوك المناسب والايجابي للطفل، وعلى استخدام أساليب العقاب الملائمة أيضا لكف السلوكات غير المرغوب فيها لدى الأطفال،والجدير بالذكر أنه لا بد من الراعي المسيء من أن يبوح ويكشف عن تفاصيل موقف الإساءة بصراحة ووضوح، وأن يتحدث عن الأفكار والخيالات والتبريرات والأسباب التي تكمن وراء الإساءة التي قام بها نحو الطفل ، ثم بعد ذلك تأتي المواجهة، فإن حاول المعتدي المسيء أن يراوغ ويقاوم في الكشف عن الإساءة فإنه يجب على المعالج أن يواجهه ويوضح له ذلك مباشرة على أن يتم ذلك بطريقة محترمة، وليس بطريقة عدوانية وفيها سخرية منه، وقد يتم علاج الآباء المسيئين لأطفالهم من خلال استخدام العلاج الجماعي ويمكن استخدام العلاج الفردي معهم وجملة القول أن نجاح العلاج مع هؤلاء الأباء المسيئين يعتمد على جهود واقعية لديهم في التغيير وقدرة على وقف سلوك الإساءة نحو الطفل كخطوة أولى من العلاج.

❖ **خاتمة:** مهما اختلفت الدراسات التي تناولت موضوع سوء المعاملة الوالدية النفسية إلاأنها تتفق أن لها آثار سلبية على كل مجالات حياة الفرد النفسية والسلوكية والأكاديمية وفي علاقات هو تواصله مع الآخرين وإدراكاته لذاته كذلك تؤثر على الجوانب الروحية والمعنوية لديه، لذلك توصي هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من التوصيات من أهمها :

-يجب على الجهات المختصة بشؤون صحة الطفل وحقوقه في الجزائر أن تقدم توعية أولية للأم والأب مباشرة بعد أول مولود من قبل المختصين تشمل التوعية معلومات عن كيفية التعامل مع الطفل ومراحل نموه وما تتطلبه كل مرحلة من نمط التنشئة للطفل، بالإضافة إلى بيان سلبيات الإساءة للأطفال، ويجب أن تشمل التوعية معلومات عن النمو العاطفي والاجتماعي للطفل.

-تخصيص برامج تلفزيونية تهدف إلى تعريف الأسرة الجزائرية بأساليب التربية السليمة ومخاطر الإساءة للطفل بكل أنماطها الجسدية والنفسية والجنسية والإهمال للحد من انتشارها.

-العناية بالأطفال في الأسر التي يكون فيه الأب متزوج بأكثر من زوجة، وكذلك العناية بالأطفال في الأسر التي يكون فيه الأطفال لدى زوجة الأب أو زوج الأم ، وكذلك في حالة الأسر التي ينخفض فيها المستوى الاقتصادي ، ويتم ذلك من خلال تفقد أحوال الأطفال من جهة لجان خاصة في الوزارة المعنية بذلك.

-سن قوانين صارمة تنفذ في حق كل من يقوم بإساءة معاملة الأطفال سواء في داخل المنزل أو خارجه .

-توفير خط هاتفي أخضر لاستقبال الشكاوي الخاصة بإساءة المعاملة تسمح للأطفال بتقديم شكواهم على أن يعلن عن هذا الخط في وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، حيث يتولى الأمر أشخاص متخصصون في مجال التربية وعلم النفس، مما يساعد على تفادي الكثير من الآثار النفسية والجسدية الناتجة عن إساءة المعاملة ، وقد قامت بهذه الخطوة دولة البحرين، حيث يمكن الاستفادة من التجربة.

-أن يتم التركيز على مظاهر ومؤشرات الإساءة التي يتعرض لها الأطفال .

-أن يتم التحذير من سوء المعاملة الوالدية من خلال إبراز الآثار الناجمة عن إساءة المعاملة (الآثار الطبية-النفسية-الاجتماعية)حتى تكون دافعا لتجنب الإساءة .

-أن يتم إبراز الآثار الإيجابية لحسن معاملة الوالدية على شخصية الأولاد .

-أن يتم عقد دورات تدريبية للأسر من خلال الجمعيات الوطنية لتوضيح أساليب تربية الأبناء في الإسلام.

-أن يتم تفعيل دور المساجد في إبراز موقف الشريعة الإسلامية من إساءة معاملة الأطفال.

-إنشاء مراكز وجمعيات في جميع مناطق الوطن خاصة للإرشاد الأسري و النفسي والاجتماعي والاستشارات الأسرية وذلك لمساعدة الأسر في كيفية منع إساءة المعاملة والوقاية منها.

- إيجاد فريق عمل في كل مستشفي للتعامل مع حالات الأطفال ضحايا الإساءة بحيث يتكون من طبيب أطفال ،وطبيب نفسي ،وأخصائي نفسي،وأخصائي اجتماعي.

-الاهتمام بتعيين مرشدين اجتماعيين وأسريين في المدارس للتدخل في معالجة مشكلات الأطفال المساء إليهم.

❖ قائمة المراجع:

1. *الرشدان، عبد الله زاهي (2005). التربية والتنشئة الاجتماعية. ط1. عمان: دار وائل للطباعة والنشر والتورزيع.*
2. *محمود، حسن (1981). الأسرة و مشكلاته. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.*
3. *ابو رياش، حسين (2006). مقالات في الشخصية والصحة النفسية. فلسطين: جامعة الأزهر.*
4. *روزنبرغ ، مايكل وويلسون، رتش، ماهيدي، لاري وسنديلار، بول (2008). تعليم الأطفال و المراهقين ذوي الاضطرابات السلوكية (ترجمة عادل عبدالله محمد). عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.*
5. *سواقد، ساري سليم، و الطراونة، فاطمة حماد(2000). إساءة معاملة الطفل الوالدية أشكالها و درجة تعرض الأطفال لها و علاقة ذلك بجنس الطفل و مستوى التعليم و دخل أسرته. دراسات -العوم التربوية، الجامعة الاردنية- عمادة البحث العلمي، الأردن، 27(2)، 414-436.*
6. *العيسوي، عبد الرحمان (2000). اضطرابات الطفولة و المراهقة و علاجها. مصر: دار الراتب الجامعية.*

7. كفافي، علاء الدين (2006).الإرتقاء النفسي للمراهق. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
8. زغنية، عمار وبوجفص، مباركي (1996). أساليب المعاملة الوالدية و علاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي. رسالة ماجستير في التربية وعلم النفس، جامعة الجزائر، الجزائر.
9. فايد، حسين علي (2005). الاضطرابات السلوكية تشخيصها أسبابها علاجها. القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع.
10. أبو النيل، محمود السيد (1985). علم النفس الاجتماعي، دراسات عربية وعالمية. ط4. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
11. مختار، محي الدين (1998). التنشئة الاجتماعية المفهوم و الأهداف. مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الانسانية، العدد9، 26-3.
12. عبد الله، سيد عبدالله، و خليفة، عبد اللطيف محمد (2001). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع.
13. ميزاب، ناصر(2005). مدخل الى سيكولوجية الجنوح: محددات، تناولات، نظرية، استيراتيجيات وقائية وعلاج. القاهرة: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.
14. غزالي، نعيمة (2014). النسق الأسري وعلاقته بظهور محاولات الانتحارية لدى المراهق (دراسة مقارنة). دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، 12، 155-126.
15. Bouregba, A. (2004). Les troubles de la parentalité approches clinique et socio-éducative. Paris :Dunot.
16. Cirillo, S., Di Blasio,P. (1992). La famille maltraitante. Paris : ESF.
17. Zegler, r, (2005). family vigilance legal; medical and social perpectives. Atalanta,Allyn andBacon.